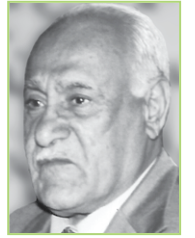


ملحمة الطوفان بين

البحث العلمي و الخرافة



■ الأستاذ الدكتور داود سلوم رحمه الله

مهما قال الانسان في بحث الاستاذ سامي البدري فهو قليل إزاء الجهد العلمي المبذول في هذا البحث فقد اثبت الباحث من خلال مقارنة اللغات المختلفة أن مرسى السفينة - سفينة نوح - إنما كان في وسط غرب العراق في منطقة النجف. ومن المقارنه اللغوية الدقيقة بين النصوص البابلية وترجمات التوراة المختلفة، انتهى الباحث إلى أن جميع الاسماء لمراسي السفينة في النسخ المختلفة للتوراة مثل (سرنديب) و(اراراط) و(قرودو) و(جبل الأموريين) و(سيئون) و(جبل حرمون) و(ارمينيا) في تركيبة^(١) كلها تعود في الاخير الى مسميات بابلية وسومرية لا غير.

هنا والى حد الآن فنحن مع التاريخ الذي أجهد الباحث نفسه في المقارنة والتحليل والاستنتاج الذي لم يترك لقارنه شكاً ولم يترك له مجالاً في أن يثير سؤالاً لم ينظر فيه الباحث. ومن باب الصدفة المحضة ان اطلع على كتاب (خفايا التوراة) للاستاذ كمال الصليبي (بيروت ط ٦ عام ٢٠٠٦) وإذا بي إمام كتاب خرافة علمية تعتمد على الفرض فقط وقد اتبع الباحث المنهج اللغوي على تشابه الاصوات بين أسماء المكان العربية وأسماء التوراة ويبدو أن الباحث لم ينظر في أي كتاب

(١) انظر (تراث النجف) ص ٥٦ - ٦٥ من البحث (النجف مرسى سفينة نوح) العدد الاول في ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٩م.

تاريخي بوجه ظهور الآداب في تاريخ الإنسانيه وتأثر بعضها ببعض ونضع هنا أمام القارئ جدولاً في ظهور هذه الآداب حسب تسلسلها في التاريخ لكي يمكننا الرّد على فرضيات المؤلف كمال الصليبي.

والجدول هو :

- أدب العراق القديم (أواخر الألف الثالث واولائل الألف الثاني ق.م) في شعبيه السومري والبابلي.

- أدب مصر (الألف الثالث ق.م).

- أدب الكنعانيين - سوريا - (منتصف الألف الثاني ق.م).

- الأدب الآشوري (احيقار) (منتصف الألف الثاني ق.م).

- الأدب اليوناني - الالياهو والاوزيسا - (القرن الثامن او السابع ق.م).

- الأدب الهندي - الريك فيدا - (القرن الثامن او السابع قبل الميلاد).

- قصص بوذا - الهند - (القرن الخامس ق.م).

- الأدب الإيراني - الأيساق - (القرن الثامن او السابع ق.م).

- الأدب العبري - التوراة - (القرن السادس ق.م).

ففي هذا الجدول يتضح ان الأدب العبري - التوراة - هو

آخر كتب النشاط الأدبي في العالم القديم^(١).

ويظهر خطأ الباحث في افتراضه ان موضوع الطوفان يهودي المصدر وان النص العراقي السومري ثم البابلي نسخة ثانية منه مع عدم اخذ الباحث القرون التي سبقت زمن التوراة بالحسبان وهذا خطأ في البحث ونكران للحقيقة التاريخية، قال الصليبي:

(أما الرواية التوراتية للقصة، فالطوفان الذي تتحدث عنه هو سيل عرم أحدثه سقوط غزير للأمطار دام أربعين يوماً لباليها. ويسود الاعتقاد بأن هذه الرواية مأخوذة عن رواية عراقية أقدم منها، وهي قصة الطوفان الواردة في ملحمة جلجامش. لكن الأرجح أن العكس هو الصحيح فلو كانت القصة العراقية هي القصة الأصلية، لفعلت كما فعلت القصة الصينية، فعزت الطوفان إلى فيضان الأنهر الذي يأتي بسبب ذوبان الثلوج في الجبال أكثر منه بسبب المطر الغزير. والواقع هو أن القصة العراقية لا تتحدث عن فيضان للأنهر، بل عن سيل عرم ناتج عن مطر عظيم.

ومثل هذا السيل ليس مألوفاً في العراق، بل هو من مزايا المناطق الغربية من شبه جزيرة العرب، حيث ليست هناك

(١) دراسات في الأدب المقارن التطبيقي: أ.د. داود سلوم بغداد ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

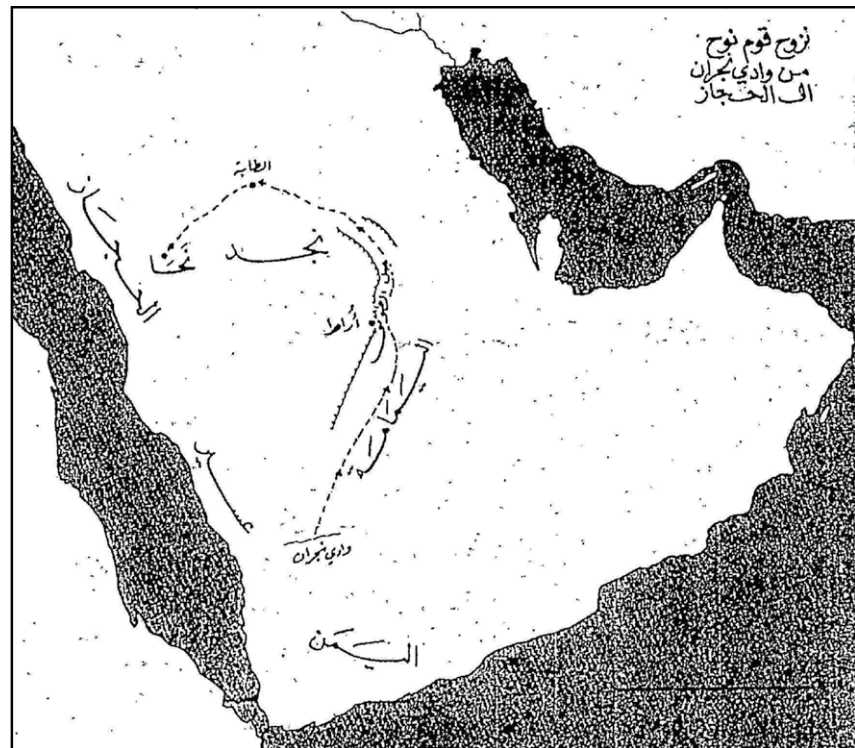
أنهر تفيض، ولا ثلوج تتراكم في الجبال ثم تذوب، فتحدث الفيضانات في الأنهر كما في العراق ولذلك، فليس هناك إطلاقاً ما يبرر الاعتقاد بان القصة العراقية للطوفان هي الأصل الذي أخذت عنه القصة التوراتية. بل هناك كل ما يبرر القول بأن القصة العراقية القصة المنقولة لا الأصلية وقد أخذت عن القصة الأقدم منها التي كانت رائجة في شبه الجزيرة العربية قبل أن تنتشر من هناك إلى العراق. ولم تكن هذه القصة آنذاك مدونة حتى تم تدوينها في العراق، وأدخل إليها ما أدخل من تعديلات مأخوذة عن التراث الشعبي المحلي. ثم تم تدوين القصة ذاتها في نص التوراة في وقت لاحق فبقيت هناك محافظة على شكلها الأصلي، لأن تدوينها في نص التوراة حصل في البيئة الأصلية للقصة^(٢).

ويفترض الصليبي تبعاً لهذا الرأي ان الطوفان المذكور حدث جنوب الجزيرة العربية مما ادى الى هجرة اليهود من الجنوب شمالاً حتى خيبر ويشرح ذلك:

٢- قضية الطوفان :

(السيول الجارية في بلاد اليمن، كما في سائر المناطق الغربية الجبلية من جزيرة العرب، ظاهرة مألوفة تاريخياً وحالياً.

(٢) خفايا التوراة ص ٤٧ - ٤٨.



مهما قال الانسان في بحث الاستاذ سامي البدري

فهو قليل إزاء الجهد العلمي المبذول في هذا البحث

المصادر

- ١- البدري ، العلامة السيد سامي ٢٠٠٩ النجف مرسى سفينة نوح (ع) . مجلة تراث النجف العدد الأول ص ٦-٩١ (باللغة العربية)
- ٢- العطية ، السيد موسى جعفر ٢٠٠٩ ارض النجف التاريخ والتراث الجيولوجي . مجلة تراث النجف العدد ١ ص ٩٢ - ١٢٣ (باللغة العربية).
- ٣- جاسم ، سعد زاير وعبد الكريم ، ساهرة وباصي ، فراهم عزيز المبارك، موفق عبد الرحمن ومنير جمال ١٩٨٤ . التقرير النهائي لجيولوجية العراق . مجلد ٣ ، طبقات ، جيوسرف . تقرير داخلي ٤٩٨ صفحة (باللغة العربية)
- 4-Hudson R.G.S ,Eames F.E.,and Wilkins G.L. 1957 . The fauna of some recent marine deposits near Basrah , Iraq . Geol . May v.94 . p . 393-401 .
- 5-Mitchell R. C . 1958 Recent marine deposits near Basrah . Geol . Mag . v. 95 P. 84 - 85 .



٢- مروج الذهب للمسعودي.

٣- كتاب البلدان لابن الفقيه.

٤- والمسالك والممالك للبكري.

٥- البلدان للياقوت الحمودي.

وكتب البلخي والإصطخري وابن حوقل والمقدسي ومعجم اللغة مثل لسان العرب والتاج وكتاب مالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري. وما انا بمرشد هذا العلم، ففي مكتبته ما ينوف على هذا العدد.

كما إقترح ان يطبع هذا البحث القيم في كتاب مستقل مع ملحقه المقترح كي يمكن ان يدور في ايدي القراء أكثر مما يصل اليهم وهو مقال في مجله وان يترجم البحث الى اللغة الإنجليزية.

وهو رغم أنه يفترض أنه كان لليهود دولة وإن نوحاً إسمياً لقبيلة فهو يلغي الماضي ويفترض ان هجرة اليهود الى خيبر بعدد الميلاذ بستة قرون اذ لم يذكر متى أسست خيبر وإذا أردنا ان نحسب بافتراضات الصليبي فان خيبر يجب ان نكون قد أسست قبل هذا التاريخ واستمرت في الوجود حتى فتح المسلمين لهم بقرون بعد التاريخ المسيحي.

لم يذكر الاستاذ مصدراً واحداً في تاريخ الآثاريين يؤيد هذه الفرضيات غير المعقولة.^(٣)

ونعود ثانية الى بحث الأستاذ السيد سامي البدري لنقول ان البحث يحتاج الى ملحق يتعلق بالنجف وبيجر النجف من خلال الموسوعات الجغرافية الاسلامية والمعجم اللغوية والجغرافية ولعله يجد في هذه الكتب بعض ما يتكلم عن بحر النجف وتكونه. فالجاحظ (ت ٢٥٠هـ) ذكر في رسالة التريبع والتدوير في اسئلته المحيرة الساخره: «ومذ كم ظهرت الجبال، ونقب الماء في (النجف) ..».^(٤)

اما المصادر الجغرافية التي يمكن ان ينظر فيها في تحقيق تاريخ النجف او بجرها هي:

١- الأخلاق النفسية لابن رستم.

(٣) خفايا التوراة ص ٤٦.

(٤) رسالة التريبع والتدوير . دمشق ١٩٥٥ تحقيق شارل بلات ص ٢٦.

وكثيراً ما يسبب حدوثها نزوحاً للسكان من المناطق المنكوبة إلى مناطق آمنة، أما في الجوار ذاته أو على بُعد قليل أو كثير منه. والأضرار التي تحدثها هذه السيول تكون عادة في المناطق المتدرجة الإنخفاض الواقعة على المنحدرات الداخلة للجبال، حيث يكون السكن في معظم الأحيان على أطراف الأودية التي تجري السيول فيها. وهي أقل ضرراً على العموم على المنحدرات الساحلية، حيث تجري مياهها في أودية عميقة، ويكون السكن عادة في المرتفعات المطلة على هذه الأودية^(١). ولعل اغرب آراء الباحث الجغرافية الافتراضية المبنية على تشابه الأسماء في التوراة والجغرافية المعاصرة لأسماء الأماكن هو فرضه (إسم نوح) لم يكن شخصاً وإنما كان (قبيلة) وإن هذه القبيلة نزلت بعد الطوفان من اليمين حتى خيبر:

وليكون هناك أي مجال للشك به على أي أساس. وبرأيي أن عدد الأيام هذا الذي يفوق عدد أيام السنة التقويمية التي تحدثنا عنها بعشرة أيام لم يكن الوقت الذي قضاه نوح مع ذويه في الفلك، بل المدة التي قضتها قبيلة نوح في الإنتقال من منطقة بجران المنكوبة بالطوفان إلى أن إستقرت أخيراً بجوار (نحا)، في ناحية خيبر، شمال المدينة، بالحجاز.^(٢)

(١) خفايا التوراة ص ٥٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٧.